مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(غلاطية ٥: ٢٢–٢٦؛ ٦: ١ و٢)

يا إخوةُ إنَّ ثمرَ الروح هو المحبَّةُ والفرحُ والسلامُ وطولُ الأناةِ واللطفُ والصلاحُ* والإيمانُ والوداعةُ والعفاف. وهذه ليس ناموسٌ ضِدَّها* والذينَ للمسيحِ صَلبوا أجسادَهم مع الآلامِ والشهوات* فإن كنَّا نعيشُ بالروحِ فلنسلُكْ بالروحِ أيضاً* ولا نكُنْ ذوي عُجبٍ ولا نُغاضِبْ ولا نحسُدْ يعضُنا بعضاً* يا إخوةُ إذا أُخِذَ أحدٌ في زلَّةٍ فأصلِحوا أنتم الروحيينَ مثلَ هذا بروحِ الوداعة. وتبصَّر أنت لنفسِك لئلاَّ تُجرَّبَ أنت أيضاً* إحمِلوا بعضُكم أثقالَ بعضٍ وهكذا أتِمّوا ناموسَ المسيح.

الإنجيل

(لوقا ١٣: ١٠–١٧)

في ذلك الزمان كان يسوعُ يعلّمُ في أحدِ

العقم في الكتاب المقدّس

في التاسع من شهر كانون الأول تعيّد الكنيسة المقدسة لحبل القديسة حنة، جدة المسيح إلهنا، بالكلية القداسة مريم العذراء.

للإنجاب في فهم شعب الله في العهد القديم قيمة تجاوزت معانيها الأُسرية والإجتماعية إلى معاني أسمى لأنها مرتبطة وثيقاً بوصية الله الذي أمَر نوحاً وبنيه أن «أثمروا واكثروا واملأوا الأرض» (تكوين ٩ : ١)، وبالتدبير الخلاصي الآتي من وعد الله لإبراهيم بأن يكون نسله الخارج من أحشائه أكثر عدداً من نجوم السماء (تكوين ١٥: ٥). لذا، فالعقم صار لدى شعب إسرائيل شراً ولعنة لأنه مهانة اجتماعية وهو ينقض وصية الله ويعترض وعده الخلاصي. بمعنى آخر، مَن كان محروماً ثمرة البطن، صار في الوقت عينه وكأنه مُستثنى من وصية نوح وغير وارث لوعد الله لإبراهيم. العقم إذاً في المفهوم السائد آنذاك شر، كالألم والموت، اللذين لولا الخطيئة وغضب الله لما كانا. زد عليه العار الذي يكسو مَن لا يترك له في الأرض ذرية. ما الذي أفيده بتبنّي خادمي، إن كنت أنصرف من دون أبناء (راجع تكوين ١٥: ٢–٣). الله وحده يمنع ثمرة البطن (٣٠: ٢)، وهو وحده يفتح حضن العاقر (٣٠: ٢٢). ويبقى لافتاً أن زوجات أجداد شعب الله الثلاث، سارة ورفقة وراحيل، كنّ عاقرات قبل أن تُعطى لهن من لدن الله ذرية، ليظهر الله فيهن قاهراً للعقم، لا الجسدي فحسب بل «الإيماني» إذا جاز التعبير، إذ منهن، وهن عادمات ثمر البطن، خرج أركان الشعب المختار. ويبقى الله أميناً على عهده، ويجدد لشعبه المختار وعده الأول، طالما بقي هذا الشعب لله أميناً، مرات عديدة. «لا تكون مُسقِطةٌ ولا عاقِرٌ في أرضِكَ، وأُكَمِّلُ عدد أيامك» (خروج ٢٣: ٢٦)، «لا يكونُ عقيمٌ ولا عاقِرٌ فيك ولا في بهائمك» (تثنية ٧: ١٤).

بيد أنه وبالرغم من اليقين بأن مفتاح الخصوبة بيد الله وحده، بقيت الشريعة مثلاً تمنع الخصي (أو غير القادر على الإنجاب) من تقديم الذبائح، مصنّفة إياه بمنزلة ابن زنا، ممنوعاً من الدخول في جماعة الرب (تثنية ٢٣: ٢).

العدد ٢٠١٠/٤٩

الأحد ٥ كانون الأول

تذكار أبينا البار المتوشح بالله

سابا المتقدس

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر السادس

المجامعِ يومَ السبتِ* وإذا بامرأةٍ بها روحُ مرضٍ منذ ثماني عشْرةَ سنةً وكانت منحنيةً لا تستطيعُ أن تنتصبَ البتَّةَ* فلمَّا رآها يسوعُ دعاها وقال لها إنَّكِ مُطلَقةٌ من مرضِكِ* ووضع يديه عليها وفي الحال استقامت ومجَّدَتِ اللهَ* فأجابَ رئيسُ المجمعِ وهو مغتاظٌ لإبراءِ يسوعَ في السبتِ وقال للجمعِ هي ستَّةُ أيَّامٍ ينبغي العملُ فيها. ففيها تأتون وتَستَشْفون لا في يوم السبت* فأجابَ الربُّ وقال يا مُرائي أليس كلُّ واحدٍ منكم يحُلُّ ثورَهُ أو حمارَهُ في السبتِ من المذودِ وينطلِقُ به فيسقيه* وهذه وهي ابنةُ إبرهيمَ التي ربَطها الشيطانُ منذ ثماني عَشرةَ سنةً أما كان ينبغي أن تُطلَقَ من هذا الرباطِ يومَ السبت* ولمَّا قال هذا خَزِيَ كلُّ مَن كان يُقاومه وفرح الجمعُ بجميعِ الأمور المجيدةِ التي كانت تصدُرُ منه.

تأمل

«ولا نكن ذوي عجب ولا نغاضب ولا نحسد بعضنا بعضاً».

هل تريد أن تتأكّد من أنّ الغضب شرّ كبير؟ لنراقب أولئك الذين

لكن الشعب التائب بعد كارثة السبي إلى بابل، بات يسمع من الله كلاماً جديداً يثبت أن الخصوبة في الإيمان هي الأساس، ومَن كان خصباً في الإيمان له في ذاكرة الله مكاناً وإنْ لم يترك في الأرض ذكراً. عن هذا يقول الله بنبّيه إشعياء: «هكذا قال الربُّ للخصيان الذين يحفظون سُبُوتي ويختارون ما يَسُرُّني ويتمسَّكون بعهدي، إنّي أُعطيهم في بيتي وفي أسواري نُصُباً واسماً أفضلَ من البنين والبناتِ، أُعطيهم اسماً أبدياً لا ينقطع» (٥٦: ٣–٥). هذا الإسم الأبدي الذي لا ينقطع ما هو إلا اسم ابن الله الكلمة، الإسم الجديد الذي به بات شعب الله يسمى.

في هذا الإطار الشرائعي الاجتماعي العام، حبلت القديسة حنة جدة المسيح إلهنا بالكلية القداسة مريم العذراء، حبلاً عجائبياً بعد عقم، تعيّد له كنيستنا المقدّسة في التاسع من شهر كانون الأول. مصدرنا إلى هذا الحدَث هو كتاب من أقدم كتب الأدب المسيحي اسمه «إنجيل ميلاد مريم»، وهو يروي حَدَث الحبل العجائبي. في الـ«إنجيل» المذكور أن والدَي العذراء المباركة كانا بارّين صدّيقين أمام الله، ورعين وبلا عيب أمام الناس. كانا يقسمان كل ما يُرزقان به إلى ثلاثة أقسام: قسم يهبانه إلى الهيكل، وقسم يوزعانه على المحتاجين والغرباء، ويتركان ما بقي لمعيشتهما. وقد بقيا معاً في البتولية طيلة عشرين سنة، وبالطبع بلا أولاد. بيد أنّهما كانا قد رفعا نذراً، باتا يجددانه في هيكل أورشليم في كل عيد، أنه إذا أراد الله أن يُنعم عليهما بولد، فسوف يفرزانه لخدمة الرب. ذات يوم، وإذ كان عيد التجديد (يوحنا ١٠: ٢٢)، صعد يواكيم مع باقي عشيرته إلى الهيكل ليقدّم نذوره. هناك، لما رآه رئيس الكهنة، ازدرى به وبتقدماته قائلاً كيف يجرؤ مَن ليس له أولاد أن يأتي بالتقدمة أمام الرب كمن له ذرية؟ على هذه الخلفية يكون يواكيم ملعوناً. وليس له بالتالي أن يقدّم لله تقدمات في هيكله! يرحل يواكيم عن المدينة إلى القفر منقطعاً إلى الصوم والصلاة وناذراً، إن رزقه الله بولد، أن يفرزه لخدمة الخالق في هيكله. بعد أربعين يوماً على هذه الحال يأتيه ملاك الرب، مبشّراً إياه بأن «حنة سوف تحبل وتلد ابنة تسمَّى مريم، والإبنة سوف تتربى في الهيكل كما نذر، وهي نفسها سوف تلد ابن الله وهي بعد عذراء، بحال غريبة لا تفسَّر». ويأمره بالعودة إلى زوجته «التي سوف تكون بانتظارك عند الباب الذهبي لأورشليم». بعد ذلك يظهر الملاك لحنّة أيضاً، معزّياً إياها بقوله: «لا تخافي، ولا تظني ما ترينه وهماً. أنا هو الملاك الذي حمل تضرّعاتك إلى حضن الرب، وأنا مرسَل لأخبرك بأنك سوف تلدين ابنة، سوف تسمّى مريم وستكون مباركة أكثر من كل النساء». هذا وأنبأ الملاك حنّة بكل ما سيكون للعذراء مريم، لجهة عيشها في الهيكل ثم ولادتها لقدوس الله، وهي بعد بتول.

الأهمية إذاً في هذا الحَدَث المعيّد له ليست للأعجوبة بحد ذاتها، وآيات الله الخارقات ليست محل تعييد في كنيستنا، بل للمرحلة المنعطف التي يمثلها حبل القديسة حنّة عجائبياً، بالكلية القداسة مريم تحديداً. نحن نعيّد لانتهاء العقم الروحي انتهاءً ناجزاً، لابتداء الزمن الذي فيه سيكون للذين يتمسكون

يتشاجرون في الشارع أو في السوق. لا يمكنك أن ترى بسهولة قباحة هذا الهوى المخيف في نفسك لأنّك، عندما تغضب، يتعكّر ذهنك وتصير كالسّكران، ولكن عندما تكون هادئاً عندئذ تستطيع، عندما تنظر إلى البشر الآخرين الساخطين، أن تفهم ماذا يحدث في داخلك أيضاً.

إذاً ماذا يحدث؟ عندما يغلي الصدر يزأر الفم، وتُصدر العينان لهباً ناريًّا ويتورّم الوجه ويحمرّ، وتلوّح اليدان بتشنّج هنا وهناك، وترتجف الرجلان، بطريقة مضحكة، ويصير الإنسان كلّه كالمجنون أو ربما كحمار متوحش يركل ويعضّ. إن مظهر ذاك الذي يسيطر عليه الغضب يكون غير لائق وفاضحاً إلى حدٍّ كبير.

قد تقول لي: « لكنّ قلبي يضطرب وينجرح من الإهانات». أعرف، ولهذا السّبب بالضبط أُعجب بأولئك الذين يستطيعون أن يضبطوا غضبهم. على أيّ حال، جميعنا يمكننا أن نتحاشى انفجار الغضب إن أردنا. لماذا لا نغضب، أو على الأقل لا نُظهر غضبنا، عندما يشتمنا رئيسنا أو يؤنّبنا مديرنا؟ ربما لأنّنا نخاف بعهد الله اسماً أبدياً لا ينقطع، بالوريث الوحيد الذي وإن لم ينجب ذرية بالمعنى الجسدي، أنشأ نسلاً يقدّس الله، نسلاً صار بنعمة الإبن الوارث الوحيد نسل أبناء الله.

رجل العيد

مع اقتراب عيد ميلاد ربّنا يسوع المسيح تقصر فترة انتظار الأطفال لرجل ينتظرونه عاماً تلو آخر، فيصبحون مطيعين أكثر لوالديهم طمعاً بالهدايا التي سيأتيهم بها «رجل العيد» أو ما يسمّى «بابا نويل».

في السادس من كانون الأول نقيم تذكار أبينا القديس نيقولاوس العجائبي رئيس أساقفة ميرا ليكية، هذا القديس الذي امتزجت شهرته بشهرة شخصية «بابا نويل» التي دخلت على ثقافتنا من الغرب. هذه الشخصية ابتكرتها إحدى الشركات العالمية كعلامة تجارية لها، ومن خلال الإعلانات ووسائل الإعلام نالت شخصية «بابا نويل» الشهرة العالمية وبخاصة لدى الأطفال. أصبح هذا الرجل الملتحي والمتّشح بالثياب الحمراء واللحية البيضاء رمزاً لعيد الميلاد، مساهماً في إبعاد الناس عموماً والمسيحيين خصوصاً عن معنى العيد الأساسي وصاحبه الحقيقي أي الرب يسوع.

من المرجّح أن يكون الخلط بين الرجلين قد تمّ بسبب الشهرة الواسعة لهما إذ إن القديس نيقولاوس يمتلك شهرة واسعة لدى فئاتٍ كثيرة من الناس كالتلامذة والبحّارة والصيّادين والتجّار والمسافرين والمظلومين وبخاصة لدى الفتيات اللواتي لا مَهر لهنّ.

يُذكر في سيرة حياة القديس أنّه عرف مرّةً بأنّ أحد الرجال الأغنياء الذي كان قد خسر أمواله أراد أن يزوّج بناته الثلاث، إلاّ أنّه لم يكن يملك المال لذلك، فعرض عليه إبليس فكرة أن يدفع ببناته إلى تعاطي تجارة الزنى، لكنّ القديس نيقولاوس عرف بالأمر وراح المرة تلو الأخرى، يرمي ليلاً من إحدى نوافذ بيت الرجل، كيساً من المال، مساعداً الرجل في تزويج بناته. هذه الحادثة جعلت الناس يخلطون بين القديس و«بابا نويل» الذي يأتي ليلاً من دون أن يراه أحد ويضع الهدايا للأولاد ويرحل.

نحن نربّي أبناءنا منذ نعومة أظفارهم على وهمٍ، على شخصية خياليةٍ، ونقول: «يجب أن ندعهم يعيشون طفولتهم ويفرحون من دون أن نصدمهم بخبر عدم وجود بابا نويل». بطريقة من الطرق يقع اللوم على الأهل الذين يساهمون بإبعاد أطفالهم عن المسيح «رجل العيد» الحقيقي، جاعلين إيّاهم يعيشون وهم «رجل العيد» الذي يأتيهم بالهدايا مرّةً واحدةً سنويًّا. الأهل الصالحون لا يربّون أبناءهم على الكذب، إنّما على الحقيقة، ويفرحون عندما يشاركون أبناءهم حياةً مبنيّةً على حقيقةٍ لا على خيال. فما المانع من إخبار الأطفال عن يسوع المسيح الذي وُلِد في مغارة وجلب لنا الهدية الأهم أي الخلاص؟ هذا الإله يهدينا في كلّ قداس هديّة ثمينة هي جسده ودمه الكريمين. لماذا نخجل من الكلام مع أبنائنا على الإله الذي تنازل ليولد في مذودٍ للبهائم من أجل أن يرفعنا من ظلام الخطايا، ولا نخجل من تربية أولادنا على عيش أوهامٍ وأساطير تأسرنا عندما نريد إخبارهم الحقيقة، فنخاف عندما تأتي ساعة مواجهتهم بحقيقة عدم

إن عارضناه أن يطردنا. وهكذا يُبطل الخوفُ الغضبَ، ولماذا، عندما نعنِّف موظّفينا أو خدّامنا، لا ينبسون بكلمة؟ لأنّ الخطر نفسه، الذي يحوم فوق رؤوسهم، يضبطهم.

إذاً عندما يهيننا أناس أقوياء، أناس لديهم القوّة والسلطة لكي يؤذونا، نحتمل ما لا يُحتمل، ولكن عندما تأتي الإهانة من أناس أدنى وأضعف منّا، من أناس لسنا بحاجةٍ إليهم أو لا نخاف منهم، فإنّنا لا نحتملها. لماذا لا نعتبر في كلا الحالتين أنّ الله هو الذي يسمح بالإهانة، وأن الله هو الذي يعطينا دواءً مرًّا ولكنّه منقذٌ لكي يشفينا من الأنانية؟ إذاً، يجب ألاّ نغضب وألاّ نخاصم الطبيب الكلّي الحكمة ولا الناس الذين هم أدواته. لنواجه كلّ كلام سيِّئ وكلّ ظلم بصمت وطول أناة وصبر وتواضع.

هل أحزنك أحد؟ فكّر بخطاياك، وفكّر بأنّك أنت أيضاً أحزنت الله مرّات عديدة؛ وعندما تبدي الآن تسامحاً واعتدالاً، ستضمن رحمة الرب عندما سيطلب منك في وقت ما جواباً عن أعمالك. قال الله: «اغفروا إن كان لكم على أحد شيء لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السموات زلاّتكم» (مر ١١: ٢٥).

القديس يوحنا الذهبي الفم

وجود «بابا نويل»، لماذا الكذب من البداية إذا كنّا نعرف اننّا سنواجه ساعة الحقيقة في يوم من الأيام؟

أحد البراهين البسيطة على أنّ «بابا نويل» ليس القديس نيقولاوس هو أنّ بعض البلدان مثل اليونان تعتبره القديس باسيليوس الكبير حيث يأتي في الأول من كانون الثاني متّشحاً بالبياض ويوزع الحلوى والهدايا على الأطفال.

لقد اشتهر القديسان نيقولاوس وباسيليوس بعملهما الرعائي فكانا بحقّ «قانوناً للإيمان وصورةً للوداعة ومعلّمين للإمساك»، وبسبب سيرتهما المليئة بالعطاء ومحبّة الشعوب لهما حصل هذا الخلط مع شخصيّة «بابا نويل».

إنّ معنى اسم القديس نيقولاوس هو «الشعب الظافر»، وقد عَمِلَ هذا القديس طيلة حياته على أن تكون رعيّته قريبةً من «المسيح الظافر» (هذا لقب المسيح الذي نجده مطبوعاً على جزء القربانة المسمّى «الحمل» والذي نتناوله في كل قداس). المسيح غلب الموت والخطيئة ورعيّته – كنيسته هي ظافرة على شبهه. المسيح وُلد ومات وقام حقّاً لا بالوهم والخيال، لذلك علينا أن نتربى على الحقيقة ونربّي أبناءنا عليها لنكون شهوداً للحق، والحق يحرّرنا ويجعلنا أبناء حقيقيين لله وليس عبيداً لأمور نحسبها مهمّة وهي في الحقيقة غير نافعة وزائلة.

تربية الأولاد

إذا تربى الأولاد على عادات صالحة، فمن الصعب أن يبدّلوا تصرّفهم عندما يكبرون لأنّ نفس الطفل هي كالقماش الأبيض النظيف الذي إذا صبغناه بلون ما يصطبغ جيداً ومهما حاولنا أن ندهنه ثانيةً فكثيراً ما يعود اللون الأول ليظهر ثانيةً. هكذا هم الأولاد الصغار، عندما يعتادون على الصلاح يتبدّلون بصعوبة.

يذكر الرسول بولس مثلاً اقترضه من الشاعر مينانذروس: «أفسدت الأحاديث السيئة التقاليد الجيدة» أي «إنّ المعاشرات الرديئة تُفسد الأخلاق الجيدة» (١ كو ١٥: ٣٣). يجب ألا نتعجّب من أنّ البعض يصيرون لصوصاً أو آثمين أو مجدّفين. يُحرم الأولاد منذ صغرهم التربية المسيحية فيعتادون على الفساد وينحرفون مع أول سبب، لذلك يوصي الرسول: «أيها الأولاد أطيعوا والديكم في الربِّ لأنّ هذا حقّ. أكرم أباك وأمك التي هي أوَّلُ وصيَّةٍ بوعدٍ، لكي يكون لكم خير وتكونوا طوال الأعمار على الأرض. وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم بل ربّوهم بتأديب الرَّب وإنذاره» (أف ٦: ١–٤).

القديس يوحنا الذهبي الفم

عيد القديس نيقولاوس

بمناسبة عيد القديس نيقولاوس يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأحد ٥ كانون الأول وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الإثنين ٦ كانون الأول في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرفية وخلال القداس الإلهي سوف يُشرطن الأخ فادي جرجي شماساً إنجيلياً.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb